أبو بكر بن الملح- شعره- جمع ودراسة

د. عبد المنعم عزيز النصر
جامعة بغداد–كلية الآداب

المقدمــة

أبن الملح من شعراء دولة بني عباد، من دول ملوك الطوائف، وحاضرتها اشبيلية، وقد امتد حكم هذه الدولة من سنة (٤١٤هـ) إلى (٤٨٤هـ). وكانت نهايتها على يد المرابطين سنة (٤٨٤هـ) حين وقع المعتمد بن عباد اسيرا عند يوسف بن تاشفين الذي نكبه ونفاه إلى قلعة اغمات في مراكش، وقد نظم بعض الشعراء قصائد في رثاء دولة بني عباد متذكرين امجادهم السياسية والادبية ولاسيما أن بني عباد عرب من بني لخم، وقد عمد المعتضد (ت ٤٦١هـ) إلى تقريب الادباء والشعراء من مجلسه حتى ازدهرت اشبيلية في عصره وعصر ابنه المعتمد الذي كان شاعرا كأبيه المعتضد، وبهذا عاصر شاعرنا أبو بكر بن الملح هذه الدولة ونظم اشعاره في ظل امجادها، وكان مقربا من المعتضد بن عباد وابنه المعتمد، إلا أن الكتب التاريخية والادبية ضنت علينا وبأخبار هذا الشاعر، كما كانت ضنينة بقصائده واشعاره، فما حفظت إلا ابياتا قليلة، وكان دأبي التنقيب في المصادر الادبية والاندلسية، ولكني لم اجد اشعارا واخبارا له إلا في تسعة مصادر من مصادر الادب الاندلسي.

وقد تضمن البحث مبحثين، الأول: الدراسة، والثاني: مجموع شعره.

المبحث الأول: الدراسة

نسبه:

هو محمد بن اسحق اللخمي، من اهل شلب[١]، يكنى ابا بكر ويعرف بابن الملح، ويقال بالملاح[٢].

---

[١] شلب: من بلاد الاندلس، وهي قاعدة كورة أكشونبه، وهي مدينة بقبلي مدينة باجه، ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة، ولها جبل عظيم، واهلها وسكانها عرب من اليمن وغيرها، وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر – صفة جزيرة الاندلس ص١٠٦.

[٢] تنظر: التكملة لكتاب الصلة، ٤١/١، وينظر: الذيل والتكملة، ١١٨/١، وتنظر: رايات المبرزين، ٥٧.

حياته:

وصفه أبن بسام فقال: "فرد من افراد عصره،وهو من بيت اصالة وبحبوحة جلالة، وفارس ميداني الزهد والبطالة، وشاعر ناد وخطيب اعواد"[١] وكان مقربا من المعتضد بن عباد، وقيل انه كان احد ندمائه ثم تزهد وصار خطيب شلب[٢] وفي ذلك يقول[٣]:

وكنت فتى الكأس عهد الشباب فصيرني الشيب شيخ الدعاء

ووصفه ابو نصر الاشبيلي (ت ٥٣٥هـ) بقوله: حل كنفي العلم والعليا واخذ بطرف الدين والدنيا، فهصر افنان الفتوة، واقتصر برهة على اجتلاء غرر الاماني المجلوة، لم يتأنس بها الا بنشوة، ولم يتنفس فيها الا عن صبوة، ولا طاف مدتها بركن استتار، ولا عاف مورد استهتار والدين يلحظه بطرف كلف، وقلب عليه مؤتلف، إلى أن اقصر باطله واستبصر مسوفه ومماطله، فعرى من ذلك اللبوس، وبرى من تلك الكؤوس، واصبح ثاني الاكابر، وراقي اعواد المنابر، وقد اثبت له ما يستجاد، ويرتاد له تهائم ونجاد "[٤] وبهذا بدا أبن الملح حياته باللهو ثم انصرف إلى الزهد والعبادة، بعد أن تقدم به العمر، فانه "لاذ بالتوبة بعد الحوبة، وطلب الوزر من الوزر، وخطا بالصفوة بعد الصهوة، ورقي صهوة المنابر بعد القهوة، وكاس بعد الكأس، وأدنى سنا الطهر بعد دجى الادناس، ولبى سريعا منادي الهوى في نزع ما ارتداه في خلع العذار من اللباس"[٥].

ولم تحدد المصادر تاريخ ميلاده ولا وفاته، إلا أن أبن بسام قد اشار إلى أن أبن الملح قد عاش حتى سنة خمسمائة هجرية بعد أن تقدم به العمر[٦] وبهذا قضى جل حياته في القرن الخامس للهجرة، فهو اذن من اعلام هذا القرن خاصة، ويمكن تحديد عمره من خلال معاصرته للمعتضد والمعتمد، فالمعتضد قد توفي سنة (٤٦١هـ) وكان أبن الملح احد ندمائه فربما كان عمره انئذ في حدود (٣٥) سنة بمعنى أن ميلاده كان في حدود سنة (٤٢٦هـ) ولما كان عمره قد امتد حتى سنة خمسمائة هجرية بحسب اشارة أبن بسام فهذا

---

[١] الذخيرة، ٤٥٢/٢.

[٢] تنظر: رايات المبرزين، ٥٧.

[٣] الذخيرة: ٤٥٢/٢.

[٤] قلائد العقيان: ١٨٧.

[٥] خريدة القصر: قسم الاندلس، ٤٦٦/٣.

[٦] الذخيرة: ٤٥٢/٢، وتنظر: التكملة، ١٤٢.

يعني أن عمره قد امتد حتى تجاوز السبعين، ومما يؤكد هذا بيته السابق لأن فيه اشارة إلى عهد الشباب والشيخوخة في أن واحد.

أولاده:

كان لابي بكر بن الملح ولدان، الأول هو: أحمد بن محمد بن اسحاق اللخمي، يكنى ابا القاسم، وقد روى شعرا عن ابيه، وولي الصلاة والخطبة ببلده، وكان اديبا وشاعرا، ذكره أبن خير وحدث عنه[١] وفي اخباره ما يشير إلى انه انقلب بعد العفة إلى الانخلاع، وتزوج امرأة كانت ترقص في الاعراس باشبيلية[٢] فكتب إليه ابوه (أبو بكر)يعاتبه بابيات تفيض بالمرارة والاسى[٣]:

يـــا ســـخنة العـــين يـــا بنيـــا ... ليتـــك مـــا كنـــت لـــي بنيـــا
ابكيـــت عينـــي، اطلقـــت حزنـــي ... أمـــت صـــيتي وكـــان حيـــا
حططـــت قـــدري وكـــان اعلـــى ... فـــي كـــل حـــال مـــن الثريـــا
أمـــا كفـــاك الزنـــا ارتكابـــا ... وشـــرب مشـــمولة الحميـــا
حتـــى ضـــربت الـــدفوف جهـــرا ... وقلـــت للشـــر جـــيء إليـــا
فـــاليوم أبكيـــك مـــلء عينـــي ... لـــو كـــان يغنـــي البكـــاء شيـــا

هكذا بكى أبن الملح ابنه بدموع مفعمة بمشاعر الابوة بعد أن لج في عصيانه وفسوقه، وبكى أبن الملح أيضا ما ذهب من علو قدره، وما اصابه من اذى بسبب ابنه أحمد، ولكن احمد هذا، ابى أن ينصاع لنداءات الاب الحانية، فتمادى في غيه، واعلن العقوق والعصيان فخاطب اباه بقوله[٤]:

يـــا لائـــم الصـــب فـــي التصـــابي ... مـــا عنـــك يغنـــي البكـــاء شـــيا
أوجفت خيل العتاب نحوي وقلت ... وقبـــــل وثبتهـــــا إليـــــا

---

[١] تنظر: التكملة، ١/ ٥١ (وابن خير، هو أبو بكر بن خير، اندلسي له كتاب، "فهرسة مارواه أبن خير عن شيوخة").

[٢] تنظر: الذخيرة،٢/٤٥٢، وينظر: نفح الطيب، ١٤٩/٤.

[٣] نفح الطيب، ١٤٩/٤.

[٤] المصدر نفسه.

عمـــــــر الهنـــــــا قصـــــــير فـــاربح مـــن العـــيش مـــا تهيـــا
قـــد كنـــت أرجـــو المتـــاب ممـــا فتنـــــت جهـــــلا بـــــه وغيـــــا
لـــــولا ثـــــلاث شـــــيوخ ســـــوء أنـــــت وابلـــــيس والحميـــــا

يبدو أن ابنه يشير في شعره هذا إلى أمر ذكره المقري فقال اشتغل أحمد "أول امره بالزهد وكتب التصوف، فقال له ابوه: يا بني، هذا الأمر ينبغي أن يكون اخر العمر، واما الان فينبغي أن تعاشر الادباء والظرفاء، فلما عاشرهم زينوا له الراح، فتهتك في الخلاعة"[١] ولكن مع هذا لاينبغي للابن أن يخاطب أباه بهذه الصيغة التي لا تتفق مع قواعد الذوق والخلق النبيل، ويبدو أن الاب كان يميل إلى ان يتعلم ابنه فنون الادب لا أن يتهتك، لذلك حين رآه قد تجاوز الحد اخذ يلومه ويقرعه. وفي هذا رؤية تربوية واضحة كان قد تعهدها أبن الملح في تنشئة ولده هذا الذي قد عقه وخرج على الحرية التي كان منحها اياه.

والابن الاخر له هو أبو محمد عبد الملك وكان اديبا بارعا وشاعرا محسنا[٢] وكان أكثر التزاما من أخيه أحمد، فلم يرد في المصادر ما يشير إلى تغيير في سلوكه، وكان كأخيه راوية لشعر أبيه أيضا، كما ذكر ذلك أبن خير[٣].

شعره:

وصف أبن بسام ما اثبته من شعره بأنه يملأ الاسماع بيانا، ويبهر الطباع حسنا واحسانا[٤] ووصف العماد الاصبهاني شعره بقوله: هو أنضر من روض الورد والاس[٥] ولا شك في أن بعضا من اشعار أبن الملح ينطبق عليها هذان الرأيان، مثل قوله في مدح المعتضد[٦]:

كـم قصـر أنـس لهونـا فـي مطالعـه قـد عـاد والعهـد دان مـوحش الطلـل
فمـــن مغـــن بألحـــان المنـــى غـــرد وشـــارب بـــين طاســـات الهـــوى ثمـــل

---

[١] نفح الطيب: ٤/٧١.

[٢] ينظر: الذيل والتكملة، ٦/ ١١٨، وتنظر: التكملة، ٢/٤١٤.

[٣] تنظر: التكملة، ٢/٤١٤.

[٤] تنظر: الذخيرة، ٢/٤٥٢.

[٥] تنظر: الخريدة، ٣/٤٦٦.

[٦] الذخيرة: المجلد١، ق٢، ٤٦١.

وغافــل بالصــبا عــن قطــع مدتــه قــد راش أجنحــة الأيــام بالجــذل

ومنه قوله:

رواق ملكك بالاسياف ذو طنب وبرد مجدك بالارماح ذو خمل

فمقدرة الشاعر في الوصف واضحة في هذه الابيات، وهو وصف حضري لحياة القصور وما فيها من الحان ومجالس شرب ولهو، زد على ذلك ما يتميز به من مقدرة في ابتكار الصورة الشعرية ولاسيما ما نجده في تشبيه المُلك بالخيمة ثم حذف المشبه به وابقى لازمة من لوازمه (الرواق) على سبيل الاستعارة المكنية ولم يكتف بذلك بل جعل الرواق معززا بالاسياف كناية عن قوة الملك، وهذا ما تؤكده الصورة الأخرى في الشطر الثاني أيضا، حين جعل للمجد بردا منسوجا بالارماح، مشبها هذا المجد بانسان بطل ثم حذف المشبه به وابقى لازمة من لوازمه (البرد) الذي ليس هو بردا عاديا وانما هو منسوج بالارماح المعدة للدفاع عن هذا المجد، ومن صوره الشعرية أيضا قوله[١]

خوافق قد رشت باجنحة الهدى فطارت ببحر الروم كل مطار

فقد جعل للهدى اجنحة ثم نسبها إلى الخوافق، وهو يقصد بها الخيل، ومن ذلك أيضا، قوله[٢]:

ظبــي يمــوج الهــوى بنــاظره حتــى إذا مــا رمــى بــه انبعثــا
مبتــدع الخلــق لاكفــاء لــه يعــد شــكوى صبابتــي رفثــا

فالهوى يموج بناظر الظبي أو الحبيبة، وكلما ارسلت من نظرات لحبيبها انبعث الحب بها من جديد، فهذه صورة مبتكرة تعلن عن مقدرة واضحة في التصوير، وهذا ما نجده واضحا في قوله:

فنورت بالقوافي روضة انف في تربة العقل تسقى وابل النعم

فقد جعل العقل كالتربة التي تسقيها السحب المتراكمة، فتتفتح تربة العقل بازهار القوافي كما تتفتح التربة العادية بالازهار الطبيعية، وكذلك اجاد الشاعر في وصف الحياة الاندلسية الهانئة التي قضاها في ظل المعتمد أو حين كان نديما له، ومن ذلك قوله[٣]:

---

[١] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٣.

[٢] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٣ .

[٣] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٤.

والـروض يبعـث بالنسـيم كأنمـا أهـدا يضـرب لاصـطباحك موعـدا
سـكران مـن مـاء النعـيم فكلمـا غنـاه طـائره وأطـرب رددا
يـأوي إلـى زهـر كـأن عيونـه رقبـاء تعقـد للأحبـة مرصـدا
زهـر يبـوح بـه اخضـرار نباتـه كـالزهر أسـراجها الظـلام واوقـدا
ويبيـت فـي فـنن تـوهم ظلـه يمسـى ويصـبح فـي القـرارة مـرودا
قـد خـف موقعـه عليـه وربمـا مسـح النعـيم بعطفـه فتـأودا

فهذا تصوير لجمال الطبيعة الاندلسية يهديه الشاعر لممدوحه، فالروض والنسيم يشتركان في تحية الممدوح، وهي طبيعة غناء بما فيها من أزهار وطيور صادحة، ولا شك في أن الشاعر يصور لحظة من لحظات حياته التي قضاها في ظل قصر المعتمد بن عباد الذي مدحه أيضا بمثل قوله:

لو كانت الشمس من خدام دولتكم والعدل ما العدل لم تبرح من الحمل

وقد وصف أبن بسام هذا البيت بقوله: "ولم اسمع بمثل هذا البيت لمن سبق فان كان اتباعا فما احسن ما أرق، وإن يكن اختراعا فما أولى واخلق" [١] وقدرة الشاعر أيضا تتجلى من خلال الموسيقى الشعرية التي تبدو واضحة في بعض اشعاره مثل قوله[٢]

سكران من ماء النعيم فكلما غناه طائره وأطرب رددا

فتكرار الطاء والراء في الشطر الثاني يوحي بالطرب، والسرور اللذين يعتملان في نفس الشاعر، وكذلك ما نجده من تكرار السين في قوله[٣]:

حسب القوم أنني عنك سال انت تدري سريرتي ما أبالي

وكأن هذا التكرار فضلا عن التصريع باللام المكسورة يوحي بانكسار المحب أمام محبوبته وان لم يصرح الشاعر بذلك، ولكن مع هذا نجده يخفق احيانا في ابتكار الصورة الشعرية، كما في قوله:[٤]

ولتحفظ الايام سالف أمـة ملأت مفاخرهم فروج الاعصر

---

[١] المصدر نفسه ، المجلد ١، ق٢، ٤٦٢.
[٢] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٤.
[٣] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٣.
[٤] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٨.

أو قوله:[١]

نقل الوداد على قطار قصائد رتعت زمانا في جناب الدفتر

فاخفاق الشاعر واضح في تصوير المفاخر، هذه المفاخر التي اراد الشاعر أن يصور كثرتها فلم يجد لها الا أن يقول انها ملأت فروج الاعصر. وهي صورة ارادت أن تقتنص شيئا من الجدة والابتكار الا انها اصبحت عائمة دون دلالة واضحة ولاسيما حين نقلت العالم اللامحدود والمعنوي المتمثل بلفظة (الاعصر) إلى دائرة المادي المحدود ضمن لفظة (فروج) على حين سقطت الصورة الشعرية الثانية في المباشرة حين صور القصائد وهي راتعة في جناب الدفتر. والدفتر لفظة لاتوحي بدفقة شاعرية لكثرة استعمالها ولكون الشاعر قد ارتفع بنا في لفظة (رتعت) وجعلنا نتخيل صورة طبيعية وما فيها من اخضرار وازدهار وحركة ثم انخفض بنا إلى لفظة (الدفتر) التي ليس فيها الا دلالة واحدة هذا الشيء الجامد الذي يحتوي على أوراق جامدة بين دفتيه، ونلاحظ أيضا التكلف في وصفه بعض الاشياء كما في وصفه صورة الفيل في قصر المعتمد[٢]

ومشعلين من الاضواء قد قرنا بالماء والماء بالدولاب منزوف

لاحا لعيني كالنجمين بينهما خط المجرة ممدود ومعطوف

ونلاحظ – أيضا– أن صورة الفيل غير واضحة في هذين البيتين، مما يدل على أن الشاعر اخفق في وصفه هذا.

موضوعات شعره:

يعد الوصف من اهم موضوعات شعره، فقد قال واصفا شمامة فضة منيلة، وسوار فضة مذّهب، وقال قصيدة في وصف حلبة الخيل، وهي قصيدة تعنى أيضا– باوصاف الخيل والوانها، ومن ذلك قوله[٣]:

فمن سابح ورد تجلبب خلقة بنسج دم قبل النتاج ممار

وابلق كالريم المدمى مفضض تخال بشقيه مسال نضار

وأشهب تجلوه المعاني كأنما وأشقر تزين منه زندها بسوار

نوري يهب كأنه وقد قدحته الحرب مقبس نار

وادهم كالليل البهيم تعلقت به تحت كم الفجر كف نهار

ومن ابداعه في وصف الخيل في هذه القصيدة قوله:

---

[١] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٨.

[٢] المصدر نفسه ، المجلد ١ ق ٢، ٤٧٣.

[٣] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٣.

فهن بشد الجري عقبان شاهق وهن بألحان الصهيل قماري

فقد شبه سرعة جري الخيل بسرعة طيران العقبان، وشبه نغمة صهيلها بالحان القماري، وبذلك اضفة عليها القوة والجمال في آن واحد، على حين نجد مقدرته في تصوير الوان الخيل واضحة في ابياته الاخيرة، فقد جعل الشقرة اثرا من اثار الحرب ونارها المستعرة، وذهب إلى ابتكار استعارة جميلة في تصوير الادهم من الخيل في قوله:

وأدهم كالليل البهيم تعلقت به تحت كم الفجر كف نهار

فقد شبه الفجر بانسان وشبه النهار بانسان، وحذف المشبه به من كل من الاستعارتين وابقى لازمة من لوازمها (كم) و(كف) على سبيل الاستعارة المكنية..

ومن موضوعاته الاخرى، المدح، وكان اكثره في مدح المعتضد بن عباد، فقد مدحه بست قصائد، منها قصيدته التي مطلعها[١]

لاحد للوجد إلا انت عارفه كأن قلبك للاشواق ميزان

ومنها أيضا:

تاهت بمجدك قحطان وعدنان وقد تخاضع يونان وساسان

وسار ذكرك والافواه تنقله حتى تطارح فيه الانس والجان

وكان نصيب المعتمد من قصائد المديح قصيدة واحدة، ومطلعها[٢]

سكن اشتياقك ما عدا عما بدا أرويت أم حمت الخطوب الوردا

وكذلك نظم الشاعر في الغزل، وقد ذكرت له ثلاث مقطوعات، منها مقطوعته التي يقول فيها[٣]:

حسب القوم انني عنك سال انت تدري سريرتي ما أبالي

وللشاعر أيضا اشعار في العتاب والشكوى، فقد قال[٤]:

لقد ظلمتني امة ما خمشتها بلحظ وقد عمت حشاي ندوبا

---

[١] المصدر نفسه ، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٣

[٢] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٢

[٣] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٣.

[٤] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٣.

وفي هذه القصيدة يصف الشاعر ظلم بعض اصدقائه له، فقد كانوا يتقربون له حين كانت له سعة في المال والجاه، ولكنهم سرعان ما انقلبوا عليه حين تغير حاله وفي ذلك يقول:

وثقت بهم في النائبات فاخلفوا وكانوا إلى جنب الخطوب خطوبا
فكم صاحب منهم يبيت بقلبه بعيدا ويغدو باللسان قريبا
اذا لاح خير ذادني عن حياضه كما ذادت الزجر العرامس نيبا
وان عن شر قادني نحو ضنكة جنيبا وأنى لي اقاد جنيبا

وتتميز هذه القصيدة بحرارة العاطفة وصدق المعاناة التي يبثها الشاعر من خلالها ويمكن أن نعدها من عيون شعره ولاسيما انه يبدو متمكنا فيها من التعبير عن معاناته بعفوية واضحة، زد على ذلك ما فيها من صور واستعارات جميلة كما في قوله:

وكنت إذا بل الوداد بلفظة أدرت عليه بالمحبة كوبا

أو قوله:

نشرت له برد الاخاء كأنما خضبت بها في العارضين مشيبا
وكنت إذا رثت من الود بردة سقى عليه صرفت الاهتبال قشيبا
كأس حقد فوق لحق نميمة تشق قلوبا لاتشق جيوبا

وبهذا اختلفت موضوعاته وتعددت على الرغم من قلة شعره الذي ذكرته المصادر الادبية، وهذه الموضوعات تشتمل على المدح والوصف والغزل والعتاب والشكوى.

المعاني والالفاظ:

يبدو أن أبن الملح كان متأثرا بالجو العام لتلك الحياة الهانئة التي عاشها في ظل القصور لذلك صور التماثيل والصور التي شاهدها في تلك القصور، وكذلك وصف الخيل وما إلى ذلك من مظاهر الحياة الخاصة، على حين لم نجد في شعره ذكرا لمظاهر الحياة العامة التي كان يعيشها جمهور الناس، فلذلك كانت معانيه تنبثق من ذلك الواقع الذي كان يعيشه، فهو شاعر قصور بالدرجة الاولى، إلا اننا نجد معانيه في قصائد المديح تختلف عن هذا الاتجاه لانها تزخر بمعاني البطولة، وتتغنى بها، كما في قوله مادحا المعتضد[1]:

[1] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٩.

أوطأن في ظبة الحسام توسدي ومزجن كأسي في لهاة الارقم
واليك من نار الحياة بوجنتي وهجا تحف به عيون المرزم
ولكم لقيت الهم يملؤ ارضه باحم طامي اللجتين عرمرم
وتركت ذاك الجيش نهبا للظبا متخاذل الانصار مطلول الدم

فالشاعر هنا يستلهم معانيه من معين الشجاعة والبطولة التي يعاقرها الابطال في سوح الوغى حيث لايهابون الموت ولايرهبون الاعداء وبهذا مدح المعتضد حين وصفه شجاعا قد ترك جيش اعدائه نهبا للظبا مخذولا مطلول الدم.

أما ألفاظه فلها أيضا اتجاهان، الاتجاه الاول يسير في دائرة المعاني الحضرية ولاسيما في موضوعات الوصف والغزل والعتاب. وهي الفاظ واضحة في مجملها تميل إلى اليسر في التعبير، على حين نجد الفاظه في الاتجاه الثاني تميل إلى الجزالة والقوة ولاسيما ما نجده في موضوع المديح الذي يستثمره الشاعر للتعبير عن معاني البطولة والشجاعة التي يجسدها في ممدوحه كما في قوله[1]

وباب حربك مفتوح لقارعه عن قسور اهرت الشدقين ذي عصل

أو قوله[2]:

ضمانك ملء الارض كالاخذ باليد لذلك هول الأمر بالغد في الغد
لذلك يبدو الموت نارا ولجة على صفحتي صمصامك الواقد الندي
لذلك مادت بالرماح صعادها يهز وليست لوهي في الكعوب بميّد
بها اعطافه كل باسل رحيب ذراع أو طويل مقلد
على شزب لو سايرتها خطوبها عرضن عليها من وجوه التجلد

---

[1] المصدر نفسه ، المجلد ١، ق ٢، ٤٦١. (الهرت: سعة الشدق– ينظر: لسان العرب، مادة هـ، ر، ت. العصل: الالتواء في الشيء، وعصل نابه واعصل: اشتد: ينظر: لسان العرب مادة ع، ص ، ل).

[2] المصدر نفسه، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٨ (شزب: الشازب الذي فيه ضمور وان لم يكن مهزولا واكثر ما يستعمل في الخيل والناس– ينظر: لسان العرب، مادة ش، ز، ب– وشزب الحيوان ضمره، وذلله– ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٥٠٠).

ونلاحظ في هذه الابيات قوة الالفاظ وجزالتها ولاسيما أن المعاني التي عبر عنها الشاعر تمثل معاني البطولة والشجاعة التي تتمثل في الممدوح وهو يقارع اعداءه، والى جانب ذلك يميل إلى الغريب من الالفاظ. مثل (ذي عصل، شزّب) في مثل هذه الموضوعات مما يدل دلالة واضحة على ثراء معجمه اللفظي، فضلا عن قدرته في توظيف الالفاظ بحسب الموضوعات الشعرية.

الاوزان والقوافي:

يميل الشاعر إلى استخدام البحور الطويلة في اغلب موضوعاته الشعرية، فقد نظم في الطويل اربع قصائد واربع مقطوعات، ونظم في البسيط ثلاث قصائد واربع مقطوعات ونظم في الكامل قصيدتين ومقطوعة واحدة. على حين كان نصيب البحر المتوسطة مقطوعة واحدة لكل منها، فقد نظم مقطوعة في النسيب في الخفيف ونظم مقطوعة في العتاب في مخلع البسيط، ونظم مقطوعة في الغزل في المنسرح.

وبهذا كان للبحور الطويلة النصيب الاوفر في شعره، ويبدو التلاؤم بين البحور الطويلة وموضوع المديح واضحا ولاسيما أن هذا الموضوع قد تناول معاني الشجاعة والبطولة التي جسدها الشاعر في ممدوحه على حين لانرى مثل هذا الانسجام بين موضوع الوصف والبحور الطويلة التي يبدو الشاعر فيها متكلفا واضح التكلف.

زد على هذا أننا نجد مدائحه في الكامل تمتليء بروح الخفة والنشاط التي يسبغها هذا البحر من خلال تفاعليه التكررة، وذلك مثل قوله:[1]

ألفوا مضاجعه الظبا بموهودهم ... وولوا مطاولة الوشيج الاسمر
فلتحفظ الايام منهم عصبة ... سكنت بارجاء الوغى والمنبر
ثبتوا على الاصل القديم فاثبتوا ... نسب الكواكب في قبائل حمير

على حين نجد الموسيقى الحماسية الصاخبة تنبعث من خلال مدائحه التي جاءت في الطويل وذلك مثل قوله[2]

لذلك يبدو الموت نارا ولجة ... على صفحتي صمصامك الواقد الندي
لذلك مادت بالرماح صعادها ... وليست لوهي في الكعوب بميد

---

[1] الذخيرة، المجلد ١، ق٢، ٤٥٨.

[2] المصدر نفسه.

وبهذا يمكننا أن نقول أن للشاعر احساسا مرهفا بالموسيقى الشعرية في اغلب شعره، وهذا ما اسبغ أيضا على قوافيه التي تكاد تخلو من عيوب القافية، زد على ذلك أنه تناول مختلف حروف المعجم في روي قوافيه ولم يقتصر على حرف دون اخر. فقد استخدم اثني عشر حرفا هي: الالف والباء والثاء والدال والراء والفاء والقاف واللام والميم والنون والهاء والياء. ومن اشعاره ما جاء معناه منسجما مع قافيته، كما في قوله[1]:

يا سخنة العين يا بنيا ليتك ما كنت لي بنيا

فقد جاء رويه منسجما مع طبيعة الموضوع، فالياء وما فيها من انكسار تلائم طبيعة هذا المعنى الذي يفيض بالاسى والحزن، فضلا عما في القافية من اطلاق، زد على هذا ما نجد من مقدرة للشاعر في توظيفه لتفعيلات مخلع البسيط (مستفعلن فاعلن فعولن) المختلفة للتعبير عن معاناته الداخلية، وكأننا نشعر بنحيب الشاعر من خلال ايقاعات هذه الموسيقى الشعرية، ومن الجدير بالذكر أن الشاعر لا يميل إلى القوافي المقيدة في شعره.

الخاتمة

واخيرا لابد لي من أن اجمل ابرز النتائج التي توصل اليها هذا البحث وهي:

١) كانت لابن الملح مقدرة في التصوير وفي الوصف وفي اسباغ معاني القوة والشجاعة على ممدوحيه.

٢) يتميز شعره باحساس مرهف بالموسيقى الشعرية، وهذا يتجلى في اوزانه وقوافيه والفاظه، وربما كان هذا من اثر الغناء الذي شاع في الاندلس انئذ، ولاسيما في المجالس الخاصة التي كان يرتادها شاعرنا

٣) له مقدرة في ابتكار المعاني والصور الشعرية في بعض اشعاره، إلا أن اشعاره الأخرى لاتصل إلى المستوى الراقي إذ تغلب عليها الصنعة الشعرية. زد على هذا تكلفه في وصف بعض المظاهر الحضارية، وربما يعود ذلك إلى طبيعة الشاعر، والى ما يتوافر له من ملكة متواضعة أو لانه لم يصقل موهبته الشعرية لان الشعر عنده هواية لاحرفة كما عند غيره من الشعراء.

٤) بين شعره جانبا من حياة القصور التي عاشها في ظل دولة بني عباد، فهو يبدو شاعرا متأثرا بالجو العام لتلك الحياة الهانئة.

---

[1] نفخ الطيب، ١٤٩/٤.

٥) يوصي الباحث بالعناية بالشعراء المغمورين لانه ربما نجد في اشعارهم ما يعيننا في فهم ظواهر جديدة في الادب العربي، وربما يفيدنا ذلك أيضا في الاحاطة بظروف العصر الذي عاش فيه اولئك الشعراء.

٦) واخيرا لابد من الاشارة إلى أن اغلب شعره وقصائده لم تصل كاملة فمثلا حين يورد أبن بسام قصيدة له، يجتزئ منها بعض الابيات فيقول: (ومنها) أو (فيها يقول) بعد أن يذكر مطلع القصيدة، أو يقول "له من قصيدة عتاب قال فيها)[١] وهذا يدل على أن أبن بسام كان يختار بعض الابيات من قصائد أبن الملح مما اسهم هذا في ضياع الكثير من شعره واسهم كذلك في عدم اكتمال البنية الشعرية في قصائده، وربما اسهم أيضا في عدم اتضاح المزيد من موضوعاته الشعرية على النحو الامثل، ومع هذا فان ما وصل من شعره يعطي صورة واضحة عن مقدرة هذا الشاعر في الفن الشعري.

المبحث الثاني: مجموع شعره

الألـــف

حضر أبو بكر بن مالك كاتب أبن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال، فاغمى على الناس، ورآه محبوبه، فقال أبو بكر في ذلك[٢] (الطويل)

تـوارى هـلال الافـق عـن أعـين الـورى ولاح لمـــن أهـــواه منـــه فحيـــاه
فقلـت لهـم : لـم تفهمـوا كنـه سـره ولكـن خـذوا عنـي حقيقـة معنـاه
بـــدا الأفـــق كـــالمرآة راق صفـــاؤه فأبصـر دون النـاس فيـه محيـاه

الباء

(ا)

كان في بعض قصور المعتمد[٣] باشبيلية من جملة التصاوير صورة من خالص اللجين على صورة الفيل، فجلس المعتمد يوما على البحيرة والماء يسيل من فم ذلك الفيل وقد اوقدت شمعتان من جانبيه، ومعه أبن الملح، فقال في ذلك عدة مقطوعات منها قوله:[٤] (البسيط)

---

[١] تنظر: الذخيرة، المجلد ١، ق٢ ، ٤٦٣، و٤٧٠.

[٢] نفخ الطيب، ٣/ ٤٦٦، هكذا وردت المقدمة في النفخ.

[٣] المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨هـ).

[٤] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٢، وبدائع البدائة ٣٧٣، وقد وردت القافية في البدائع منسكب، مضطرب).

كأنما النار عند الشمعتين سنا والماء من نفذ الأنبوب ينسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة في جانبيها جناح البرق يضطرب

(٢)

وقال في ذلك الفيل[١]: (الطويل)

وانبوب ماء بين نارين ضمنا هوى لكؤوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية يحركها بالليل لمع الحباحب

(٣)

له من قصيدة عتاب قال فيها[٢]: (الطويل)

لقد ظلمتني أمة ما خشمتها بلحظ وقد عمت حشاي ندوبا
توهمتهم سلما فسولمت ظاهرا وشبوا على ظهر المغيب حروبا
وثقت بهم في النائبات فاخلفوا وكانوا إلى جنب الخطوب خطوبا
فكم صاحب منهم يبيت بقلبه بعيدا ويغدو باللسان قريبا
إذا لاح خير ذادني عن حياضه كما ذادت الزجر العرامس نيبا
وإن عن شر قادني نحو ضنكة جنيبا وأنى لي اقاد جنيبا
وآخر قد فاجأته الود أولاً بديهة ساع ماجد واديبا
سريت له من حسن ظني بطالع امنت له حتى الممات غروبا
وكنت إذا بل الوداد بلفظة ادرت عليه بالمحبة كوبا
جفاني ولكني أهب بعشرتي شمالا إذا هب الصديق جنوبا
وآخر لم اسأل به من ولا أبن من فلست لما يرتاب منه طلوبا
نشرت له برد الأخاء كأنما وكنت خضبت بها في العارضين مشيبا
إذا رثت من الود بردة عليه صرفت الاهتبال قشيبا
سقى كأس حقد فوق لحق نميمة تشق قلوبا لاتشق جيوبا
فماذا يرى العبدان في ذنب امة رأت حسناتي في الوفاء ذنوبا
ومن ينكر الشكوى إلى الله منهم وقد ملأوا الصدر الرحيب وجيبا

---

[١] الذخيرة، المجلد ١، ق٢، ٤٧٣، وبدائع البدائة ٣٧٤.

[٢] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٠، و ٤٧١.

ســأغفر لاعجــزا ولكــن سجيـــة نمتنـــي نجيبـــا أو ورثـــت نجيبـــا

(٤)

وقال[١]: (الطويل)

حبيب الينا أن نراك على طيب حراما بشراب الراح من كل تأنيب

تكسبك الصهباء فضل خلائق وعندك فضل اخر غير مكسوب

الثاء

وله يتغزل[٢]: (المنسرح)

ظبـــي يمـــوج الهـــوى بنـــاظره حتـــى إذا مـــا رمـــى بـــه انبعثـــا

مبتـــدع الخلـــق لاكفـــاء لـــه يعـــد شـــكوى صـــبابتي رفثـــا

انكـــر ســـقمي ومـــا قصـــدت لـــه ومـــا تعرضـــت للهـــوى عبثـــا

اقســم فــي الحــب أن امــوت بــه فمـــا قضـــى بـــرّه ولاحنثـــا

الدال

(١)

قال يصف سوار فضة مذهبا وأخبر عنه[٣]: (البسيط)

انــا مــن الفضــة البيضــاء خالصــة لكـن دهتنـي خطـوب غيـرت جسـدي

علقـت غصـنا علـى أخـرى فاحسـدني جـري الوشـاح فهـذي صـفوة الحسـد

(٢)

وله فيه (أي في مدح المعتضد بالله)[٤] من اخرى[٥]: (الطويل)

ضـمانك مـلء الارض كالاخـذ باليـد لـــذلك هـــول بالغـــد فـــي الغـــد

---

[١] الذخيرة، المجلد ١ ق ٢، ٤٥٣

[٢] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٣. قلائد العقيان ١٨٧. خريدة القصر ٣/ ٤٦٦. وهذا من (المنسرح)، من العروضية المطوية (مستعلن) وضربها الممائل لها (مستعلن) وتفاعيل هذه الابيات هي (مستفعلن مفعلات مستعلن) فقد اصحاب الطي (حذف الرابع الساكن) التفعيلية الثانية والثالثة.

[٣] نفخ الطيب، ٤/ ٧١، الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٠، وقد ورد الشطر الاول من البيت الثاني في الذخيرة على هذه الصيغة (علمت عضي بما أحوي فاحسدني).

[٤] المعتضد بالله هو نفسه المعتضد بن عباد، ولقد لقب نفسه بذلك احتذاء بالخلفاء العباسيين.

[٥] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٨.

لـذلك يبـدو المـوت نـارا ولجـة ... علـى صـفحتي صمصـامك الواقـد النـدي
لـذلك مـادت بالرمـاح صـعادها ... وليسـت لـوهي فـي الكعـوب بميـد
يهـز بهـا اعطافـه كـل باسـل ... رحيب ذراع أو طويل مقلد عرضن
علـى شـزب لـو سـايرتها خطوبهـا ... عليها من وجوه التجلد حملن عصا
يصـلن السـرى والمـاء غـور كأنمـا ... موسـى علـى كـل جلمـد

ومنها:

لـه جـدول مـن صـارم متسـلل ... إلـى غصـن مـن ذابـل متـأود
هنـاك ربيـع للسـيوف مـرجس ... قريـب أوان مـن ربيـع مـورد

(٣)

قال من قصيدة في مدح المعتمد، اولها[1]: (الكامل)

سـكن اشـتياقك مـا عـدا عمـا بـدا ... أرويـت أم حمـت الخطـوب الـوردا
لـم يطـف وجـدك انمـا هـي شـعلة ... كالسـيف جـرده المقـام واغمـدا
والعضـب يسـتره القـراب وربمـا ... خشـنت مضـاربه الرقـاق مـن الصـدا
والـروض يبعـث بالنسـيم كأنمـا ... أهـداه يضـرب لاصـطباحك موعـدا
سـكران مـن مـاء النعـيم وكلمـا ... غنـاه طـائره واطـرب رددا
يـأوي إلـى زهـر كـأن عيونـه ... رقبـاء تقعـد للاحبـة مرصـدا
زهـر يفـوح بـه اخضـرار نباتـه ... كـالزهر اسـرجها الظـلام واوقـدا
ويبيـت فـي فـنن تـوهم ظلـه ... بالصـبح فـي عـين القـرارة مـرودا
قـد خـف موقعـه لديـه وربمـا ... سـمح النسـيم بعطفـه فتـأودا
اعلـى محـل الشـعر أن قصـائدي ... جعلـت مـديحك بالمعـاني مقصـدا
خطبتـه تركـب بطـن كفـي منبـرا ... ودعتـك تعمـر ظهـر كفـك مسـجدا
أثقلـت أعنـاق المـآرب لولـؤا ... ومـلأت افـاق البصـائر اثمـدا

---

[1] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٤، المغرب، ٣٨٣/١ والابيات المذكورة في المغرب من (الروض يبعث بالنسيم) إلى قوله: (زهر يبوح به اخضرار نباته). قلائد العقيان، ١٨٧ والابيات المذكورة في القلائد من (والروض يبعث بالنسيم) إلى قوله (قد خفّ موقعه لديه وربما). خريدة القصر، ٣/ ٤٦٦.

كم قد ركبت إليك كاهل همة ... كادت تغالط في اخيه الفرقدا
ابغي لديك العيش اخضر يانعا ... فاجوب جنح الليل أسفح اسودا
يقظان تحسبني الكواكب ناظرا وإذا ... فيها يراقب للغزالة مولدا
تكنفني النهار لبسته ... وهجا لفوحا أو سرابا مزبدا
رطب الجوانح في اليباب كأنما اسـ ... تهديت في الماء الخفي الهدهدا

الراء

(ا)

وله من أخرى يصف حلبة الخيل[1]: (الطويل)

خوافق قد ريشت باجنحة الهدى ... فطارت ببحر الروم كل مطار
فهن بشد الجري عقبان شاهق ... وهن بألحان الصهيل قماري
بكل مباه بالسلاح كأنما ... يجر من الخطي فضل ازار
مهين لدنياه يظن حياته ... إذا لم يمت في الله دار بوار
تسنم جدران المكاره فانتهى ... مآثر لم تحجب له بجدار
سقى من قليب الحرب اشجار مفخر ... تدلت له من ساعة بثمار

ومنها:

فمن سابح ورد تجلبب خلقة ... بنسج دم قبل النتاج ممار
وابلق كالريم المدمى مفضض ... تخال بشقيه مسال نضار
واشهب تجلوه المعاني كأنما ... تزين منه زندها بسوار
واشقر نوري يهب كأنه ... وقد كسته الحرب مقبس نار
وادهم كالليل البهيم تعلقت ... به تحت كمّ الفجر كف نهار
إذا ما علاه راكب فكأنه ... بغرته تحت المطالب سار
بلبته خيط المجرة فصلت ... له موهنا اوساطه بدراري تجوب
سفينة بر سخرت غير انها ... من الالهاب لج غبار وتهنأ من
تطاطأ من عون الطباع بحاذف ... لون الاديم بقار على
له خلق لولا توارد غيره ... عتقه لم ينحرف لنفار

[1] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٣

(٢)

وله فيه من اخرى[١] :" أي في المعتضد بالله" (الكامل)

قد صرت في أخرى المقاصد ناصري وشرعت في شتى الموارد فاصدر
واختر لهذا الدر اجياد العلا يزدن فحسن الجيد زين الجوهر
واشهد صروف الدهر تظفر عندها بالظاهر أبن ابي الكرام وتنصر
فصغير مرأى العين عن بعد المدى كالنجم اصغره تنائي المنظر

ومنها:

حاز السناء وما اسن وانما نمت الفروع بطيب ماء العنصر
من معشر يمسي ويصبح طفلهم من حب [...] العلا في معشر[٢]
ألفوا مضاجعة الظبا بمهودهم وولوا مطاولة الوشيج الاسمر
فلتحفظ الايام منهم عصبة سكنت بارجاء الوغى والمنبر
ثبتوا على الاصل القديم فاثبتوا نسب الكواكب في قبائل حمير أن
وبنوا على السعي الجميل فبينوا المكارم في تراث المئزر
ولتحفظ الايام سالف امة ملأت مفاخرهم فروج الاعصر
بقي الثناء عليهم فكأنما ركبوا المنابر في بطون المقبر
اهدى اليك الود عبد يدعي شرفا بصهر في بنات المحبر
طابت موارده لديك كأنما وقفت ركائبه بريق الكوثر
وسما يبلغه اليك كأنما قطع المراحل في بروج المشتري
نقل الوداد على قطار قصائد رتعت زمانا في جناب الدفتر
يحملن طيب الحمد فيك كأنما ينشرن بالفلوات طيب العنبر

الفاء

وقال في ذلك (أي في وصف صورة الفيل في قصر المعتمد باشبيلية[٣]: (البسيط)

---

[١] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٨

[٢] هكذا ورد البيت، واللفظة المحذوفة بحسب تقديري هي (آباء) وبهذا يصبح الشطر كالاتي "من حب آباء العلا في معشر".

[٣] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٣ : بدائع البدائة، ٣٧٣. نفح الطيب، ٤/ ٢٦٣ وقد ورد في النفح في مقدمة البيتين ما يلي: (جلس المعتمد يوما على بركة ماء، والماء يجري من فم فيل من الفضة، وقد

ومشعلين من الأضواء قد قرنا بالماء والماء بالدولاب منزف
لاحا لعيني كالنجمين بينهما خط المجرة ممدود ومعطوف

القاف

وقال في شمامة فضة منيلة[1]: (البسيط)

انا المدارة بين الكأس والطبق والمستعارة للاناف والحدق
أكون للورد والخيري آونة لولا وتارة لغصون الاسى والحبق
صيانة جسمي عن مجاذبة لثارت الحرب بين النور والورق
خفت الزمان على تغيير عهدتها ففي اهابي آثار من الحرق
كأنني نقطة في الصحو صافية قد غيرت بعض لوني خضرة الورق

اللام

(١)

قال في النسيب[2]: (الخفيف)

حسب القوم انني عنك سال انت تدري سريرتي ما أبالي
قمري انت كل حين وبدري فمتى كنت قبل هذا هلالي
انت كالشمس لم تغير ولكن حجبت ليلها حذار الملال
ما مللنا فكان ذا غير أنا قد حسبناه من صروف الليالي

(٢)

وقال يمدح المعتضد بالله[3]: (البسيط)

كم قصر أنس لهونا في مطالعه قد عاد والعهد دان موحش الطلل
فمن مغن بالحان المنى غرد وشارب بين طاسات الهوى ثمل
وغافل بالصبا عن قطع مدته قد راش اجنحة الايام بالجذل
حتى إذا جئت آمالي تحرف لي خطب دفعت به في غرة الامل

اوقدت شمعتان من جانبيه، والوزير أبو بكر بن الملح عنده، فصنع الوزير فيها عدة مقاطع بديها منها).

(١) الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٢. ومنيلة: مرصعة أو مزخرفة.

(٢) الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٥٣. القلائد ١٨٧، المغرب ١/ ٣٨٤، خريدة القصر ، ٣/ ٤٦٦.

(٣) الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٦١.

إذا الهوى فاض طوفانا ركبت له ... فلك العزاء ولم آو إلى جبل
لولا الحياء وقد شبت معاركه ... لقد كشفت لثام الصبر عن بطل

ومنها:

ضاق الزمان بما حطمت من قضب ... في رعيهن وما قصدت من اسل
لاتغمد البيض إلا في ضرائبها ... حتى لقد عادت الاغماد للقلل
رواق ملكك بالاسياف ذو طنب ... وبرد مجدك بالارماح ذو خمل
وباب حربك مفتوح لقارعه ... عن قسور اهرت الشدقين ذي عصل
كأنه بكم والله يكلؤكم ... يقضي على الدهر أو يختار للدول
لو كانت الشمس من خدام دولتكم ... والعدل ما العدل لم تبرح من الحمل

"قال أبن بسام: ولم اسمع بمثل هذا البيت لمن سبق، فان كان اتباعا فما احسن ما ارق، وان يكن اختراعا فما اولى واخلق".

وفي هذه القصيدة يقول:

كم حطتم من ضياع في الأنام وكم ... وصلتم من شتيت غير متصل
بسنة كسنان الرمح ماضية ... ومذهب كقناة الرمح معتدل
مدحتكم حيث لافخر ازيدكم ... فقد كحلت عيونا جمة الكحل

"كما أن هذا البيت اشار فيه أبو بكر إلى التقصير، فلعله اراد أن يجعله في شعره تميمة من الفتور"[1].

الميم

(ا)

وقال أبن الملح من قصيدة في المعتضد بالله[2]: (البسيط)

[1] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٢.

[2] الذخيرة، ق ٢، ٤٥٦.

نشرت للحمد طيبا عن شذا نفس ... بعثته عن ضمير غير متهم
فنورت بالقوافي روضة انف ... في تربة العقل تسقى وابل النعم
لي الثواب فلم ارجع لمشكلة ... عن اليقين ولم اعكف على صنم
لي همة ما يزال الدهر يطلبها ... وما تزال من التأميل في حرم
وما تحملتها في ظهر فاحشة ... ولا وقفت بها في برزخ التهم
مالي وللناس عمت لي منابتهم ... تباين اللمس بين الآسي والسلم
تمزقت بردة الانصاف بينهم ... في منكبي ولم تضغط بمزدحم
ليقصر الدهر خصمي لست مكترثا ... من الخصوم وفي بيت الندى حكمي

(٢)

وقال أبن الملح من أخرى في مدح المعتضد بالله[1]: (الكامل)

أوطأن في ظبة الحسام توسدي ... ومزجهن كأسي في لهاة الارقم
وإليك من نار الحياء بوجنتي ... وهجا تحف به عيون المرزم باحم
ولكم لقيت الهم يملؤ ارضه وتركت ... طامي اللجتين عرمرم
ذاك الجيش نهبا للظبا ... متخاذل الانصار مطلول الدم
حتى إذا رمت الليالي جانبي ... من كل ناحية بكل الاسهم
خطمت بحبل الشيب انف شبيبة ... قد كان قبل صروفها لم يخطم
لو كنت اقدر قادر لم اجزها ... اني لازهد في عقاب المجرم
إني لأقبض في مراجعها يدي ... ولو احتديت بها فروع الانجم
وارد عزمي والحقيقة مطلب ... وابيح حظي والكريمة مغنمي
انا ضاحك للدهر ضحكة شامت ... إن كان يعبس للندى المتبسم
قصد الزمان الاملين بحربه ... وأتيت في الغمرات أول مقدم
وعلمت أني إن اصل بمحمد ... انفذ على ضيق المكر واسلم

[1] الذخيرة، المجلد ١، ق٢ ، ٤٥٩– ٤٦٠.

الله اكبـــر لـــو قضـــى لخليفـــة ... بمزيـــة العلـــم الـــذي لـــم يعلـــم
لـرووا حـديث الـنفس غيـر مـرجم ... وتيقنـــوا التنزيـــل غيـــر متـــرجم
يـــا أيهـــا البشـــر المنـــزه جملـــة ... للمجـــد قبـــل اشـــارة المـــتكلم
خـذ بالنـدى والبـأس اعـدل وجهـة ... وافـــرض ليومـــك بالمـــآثر واقســـم
واحطـــم عـــداك مكايـــدا ومكابـــدا ... واثـــأر بســـيفك للقنـــا المـــتحطم
واقنـــع بعـــذر مـــن قنـــاك فانـــه ... نبـــأ لـــرمح ربيعـــة بـــن مكـــدم
بيـــديك صـــعدته وكـــل قبيلـــة ... جشـم وكـل الارض وادي الاخـرم[1]

(٢)

وله من أخرى في المعتضد بالله[2]: (الطويل)

سـروا تحـت ليـل فـي الظـلام بهـيم ... مكلـــل افـــاق كليـــل نجـــوم
تواصـــوا باعمـــال الشـــقاوة بيـــنهم ... وعاذوا بشيطان هناك رجيم ولافرحوا
مقامـة شرب مـا قضوا حق مجلس ... فـــي ســـكرهم بنـــديم
ولا وجدوا برد السرور كأنما مذاهب ... اديـرت علـى الاقـوام كـأس حمـيم
سـوء غيـرت مـن معاشـر تحـاموا ... نفوســا فلــم تســلم لهــا بجســوم
بـــلادا مـــزقتهم كأنمـــا ... مضـت فـي رباهـا عاصـف بهشـيم
سـروا تحـت اطـراف الرمـاح كانهـا ... شـياطين ظلـت تحـت رصـد نجـوم
ومـالوا علـى حـد السـيوف كأنمـا ... تميـــل إلـــى اذانهـــم بنمـــيم
كـان المنايـا الحمـر دانـت نفوسهـم ... فحلـت علـى عسـر حلـول غريـم

ومنها:

---

[1] في يوم الكديد بارز ربيعة بن مكدم عددا من الفرسان تواتروا لمبارزته ، وحمى الظعينة، فلما ذهب دريد بن الصمة ليرى ما حدث ووجد ربيعة حديث السن، اعطاه رمحا وعاد عنه دريد وادعى لاصحابه أن ربيعة انتزع منه الرمح، وفي ذلك يقول ربيعة:

إن كان ينفعك اليقين فسائلي ... عني الظعينة يوم وادي الاخرم

[2] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٠.

إلا فاخطبوها للعقول فإنها وإن رخصت يوما بنات كريم
ولاتبخسوها في المهور فإنها إباء سني في الملوك عظيم

النــون

(١)

وقال فيه: (أي في وصف صورة الفيل في قصر المعتمد بأشبيلية)[١] (الطويل)

كأن سراجي شربهم في التظاهما وأنبوب ماء الحوض في سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما لئيمان في انفاقه يعذلانه
إذا هزه للجود برد سماحة اصرا على تثريبه يحرقانه

(٢)

وقال أبن الملح (يمدح المعتضد بالله)[٢]: (البسيط)

ولا صبابة إلا انت واسعها كأن صدرك للاشجان ميدان

ومنها:

سرنا نراقب اعلان الصباح بنا كأننا في ضمير الليل كتمان

وفيها يقول أبن الملح في المدح:

هو المقر العلا والخيل سارحة واللابس الحمد والصمصام عريان
والمبصر الرشد في اقصى مطالبه والناس من فتنة الاهواء عميان
تاهت بمجدك قحطان وعدنان وقد تخاضع يونان وساسان
وسار ذكرك والافواه تنقله حتى تطارح فيه الانس والجان
وشك في العصر اقوام فقلت لهم فلان في ثقليها لاسليمان
ذكيت جودك حربا والعدا جزر وسيفك النار والاطيار ضيفان
همى عليها الموت الزعاف حيا وماج مجلجل بصليل البيض حنان

---

[١] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٧٣، بدائع البدائة، ٣٧٤، المغرب ١/ ٣٨٤، وقد ورد الشطر الأول من البيت الاول في بدائع البدائة (كأن سراجي شربهم في التظائها) وفي المغرب (كان سراجي شربنا في التظائه).

[٢] الذخيرة، المجلد ١، ق ٢، ٤٦٣.

فيـــه وريـــح البـــأس تنســـجه جـيش هـو الـيم والاسـياف خلجـان
وللـــدماء غـــدير فـــوق ضفتـــه للجـيش دوح وسـمر الخـط اغصـان

الياء

ومن حكاياتهم في المجون وما يجري مجراه، أن الوزير ابا بكر بن الملح كان له بن شاب، فاسترسل مع الادب، إلى أن خرج من القول إلى الفعل، واتى باشياء لاتليق بمثله، فكتب اليه ابوه[1]: (مخلع البسيط)

يـــا ســـخنة العـــين يـــا بنيـــا ليتـــك مـــا كنـــت لـــي بنيـــا
ابكيـــت عينـــي، اطلقـــت حزنـــي أمـــت صـــيتي وكـــان حيـــا
حططـــت قـــدري وكـــان أعلـــى فـــي كـــل حـــال مـــن الثريـــا
أمـــا كفـــاك الزنـــا ارتكابـــا وشـــرب مشـــمولة الحميـــا
حتـــى ضـــربت الـــدفوف جهـــرا وقلـــت للشـــر جـــئ إليـــا
فـــاليوم ابكيـــك مـــلء عينـــي لـــو كـــان يغنـــي البكـــاء شيـــا

ما نسب اليه من الشعر ولغيره

شعره في النسيب[2]: (المتقارب)

تعرضـــت مـــن شـــفني حبـــه ببـــدء ســـلام عليـــه شـــفاها
فجـــاد علـــي بتقبيلـــة وقـــد كـــان اعـــرض عنـــي وتاهـــا
فكنـــت كموســـى اتـــى للضيـــاء ليقـــبس نـــارا فنـــاجى الاهـــا

[1] نفح الطيب، ٤/ ١٤٩

[2] رايات المبرزين، ٥٧، وتنسب هذه المقطوعة إلى ابنه أبي القاسم احمد بن الملح أيضا .

مصادر البحث

(١) بدائع البدائه، علي بن ظافر الأزدي (ت٦١٣هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، تحقيق أذرتاشي أذرنوش، نقحه وزاد عليه، محمد المرزوقي ومحمد العروس المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، طبعة تونس.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨م.

(٤) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق د. إحسان عباس، القاهرة، دار الثقافة ١٩٧٣م.

(٥) رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق د. النعمان عبد المتعال، طبعة القاهرة ١٩٧٣م.

(٦) صفة جزيرة الأندلس، عبد المنعم الحميري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٧) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الإشبيلي (الفتح بن خاقان) (ت٥٢٩هـ)، القاهرة، المطبعة الخديوية ١٢٨٢هـ.

(٨) كتاب التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبّار، القاهرة، ١٩٥٦م.

(٩) لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

(١٠) المُغرب في حُلى المغرب، أبو محمد الحجاري وعبد الملك بن سعيد وآخرين، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٥٣م.

(١١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨م.

POETRY OF ABU BAKER BIN AL MULH COLLECTION AND STUDY

SUMMARY OF THE RESEARCH :

(1) THE RESEARCH AIMED AT FINDING OUT A POET OF BANI ABBAD NATION OF THE NATION OF AL TAWA-EF KINGS IN ANDALUOS WHOSE RULE LASTED FROM THE YEAR (414 A.H) UPTO THE YEAR OF (484 A.H).

(2) THE RESEARCH CLARIFIED THE POETIC MATTERS WHICH WERE OF THE POET'S INTEREST AND SHOWED THE POET'S ABILITY IN THE ART OF POETRY.

(3) THE RESEARCHER HAS COLLECTED THE POETRY OF ABU BAKER BIN AL MULH WHICH HAS BEEN FALLEN. AND RECOMMENDED THE NECESSITY OF GIVING THE MOST OF OUR INTEREST FOR SUCH UNKNOWN POETS, AS WE MAY FIND OUT IN THEIR POETRY WHAT HELP US IN DISCOVERING OF NEW ASPECTS IN THE ARABIC LITERATURE AND THE SAME MAY ALSO BENEFIT US IN HAVING ENOUGH KNOWLEDGE ABOUT THE CIRCUMSTANCES OF THE PERIOD OR TIME IN WHICH SUCH POETS WERE LIVING.